

التبيان في تفسير القرآن

(556) آيتان وبعض آية في المكي والمدني الاخير، وآيتان فيما عداه، عد المكي والمدني الاخير إلى " قوي عزيز " تمام التي قبلها. قرأ الاعشى (عشيراتهم) على الجمع، الباقون (عشيرتهم) على الافراد. قوله (كتب انا لاغلبين أنا ورسلي) معناه إنه كتب في اللوح المحفوظ وما كتبه فلا بد من ان يكون. وقال الحسن: ما أمر انا نبيا قط بحرب الا غلب إما في الحال او فيما بعد. ويحتمل ان يكون المراد (كتب انا لا غلبين أنا ورسلي) بالحجج والبراهين، وان جاز ان يغلب في الحرب في بعض الاوقات. والغلبة قهر المنازع حتى يصير في حكم الذليل للقاهر، وقد يقهر ما ليس بمنازع، كقولهم قهر العمل حتى فرغ منه. وان تعالى غالب بمعنى انه قاهر لمن نازع أوليائه. وقوله (ان انا قوي عزيز) اخبار منه تعالى انه قادر لا يمكن احدا من قهره ولا غلبته لان مقدوراته لا نهاية لها ومن كان كذلك لا يمكن قهره. والعزيز المنيع بكثرة مقدوراته. وقوله (لا تجد قوما يؤمنون باي واليوم الآخر يوادون من حاد انا ورسوله) معناه ان المؤمن لا يكون مؤمنا كامل الايمان والثواب يواد من خالف حدود انا ويشاقه ويشاق رسوله ومعنى يواده يواليه، وان كان ذلك الذي يواده أباه او ابنه او اخاه او عشيرته، فمن خالف ذلك ووالى من ذكرناه كان فاسقا، لا يكون كافرا، وكل كافر فهو محاد انا ورسوله. والموادة الموالاة بالنصرة والمحبة، فهذا لا يجوز إلا للمؤمن باي دون الكافر، والفاسق المرتكب للكبائر، لانه يجب البراءة منهما، وهي منافية للموالاة. والآية نزلت في حاطب بن ابي بلتقة حين كتب إلى اهل مكة يشعروهم بأن النبي (صلى انا عليه وآله) عزم على ان يأتي مكة بغتة يفتحها. وكان النبي (صلى انا عليه وآله) أخفى ذلك، فلما عوتب على ذلك، قال أهلي بمكة احببت ان يحوطوهم بيد تكون لي عندهم، فانزل انا تعالى فيه الآية.